فَصْلٌ

دين الأنبياء واحد هو الإسلام

وَكَانَ دِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لِنَفْسِهِ هُوَ دِينُ الإِسْلَامِ: الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ الرُّسُلِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا غَيْرَهُ لَا مِنَ الأَوَّلِينَ وَلَا مِنَ الآخِرِينَ.

وَهُوَ دِينُ الأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ عَنْ نُوحٍ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١-٧٢].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ مُوسَى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]. وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ السَّحَرَةِ، أَنَّهُمْ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا

بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَا رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنۡ بِلۡقِيسَ مَلِكَةِ اليَمَنِ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

[النمل: ٤٤]

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنۡ أَنۢبِيَاءِ بَنِي إِسۡرَائِيلَ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنِ المَسِيحِ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

فَهَذَا دِينُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ هُوَ دِينُ الإِسْلَامِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعِبَادَتُهُ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، بِطَاعَةِ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فَلَا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ مَنْ عَبَدَهُ بِخِلَافِ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ: كَالَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

فَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا بِهِ إِلَّا مَنْ عَبَدَهُ بِطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا بِهِ، وَلَا عَابِدًا لَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِجَمِيعِ رُسُلِهِ، وَأَطَاعَ مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَيُطَاعُ كُلُّ رَسُولٍ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي بَعْدَهُ، فَتَكُونُ الطَّاعَةُ لِلرَّسُولِ الثَّانِي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[النساء: ٦٤].

وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَ رُسُلِهِ فَآمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ كَانَ كَافِرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ

حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

فَلَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ رَسُولٌ، وَلَا مَنْ يُجَدِّدُ الدِّينَ لَمْ يَزَلِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُقِيمُ لِتَجْدِيدِ الدِّينِ مِنَ الأَسْبَابِ مَا يَكُونُ مُقْتَضِيًا لِظُهُورِهِ، كَمَا وَعَدَ بِهِ فِي الكِتَابِ، فَيُظْهِرُ بِهِ مَحَاسِنَ الإِيمَانِ وَمَحَامِدَهُ، وَيُعَرِّفُ بِهِ مَسَاوِئَ الكُفْرِ وَمَفَاسِدَهُ.

من أسباب ظهور الإيمان

أولًا- ظهور المعارضين للحق:

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ظُهُورِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ، وَبَيَانِ حَقِيقَةِ أَنْبَاءِ المُرْسَلِينَ ظُهُورُ المُعَارِضِينَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ المُبِينِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٣١].

obeikandl.com

وَذَلِكَ أَنَّ الحَقَّ إِذَا جُحِدَ وَعُورِضَ بِالشُّبُهَاتِ أَقَامَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِمَّا يُحِقُّ بِهِ الحَقَّ، وَيُبْطِلُ بِهِ البَاطِلَ مِنَ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ بِمَا يُظْهِرُهُ مِنْ أَدِلَّةِ الحَقِّ وَبَرَاهِينِهِ الوَاضِحَةِ، وَفَسَادِ مَا عَارَضَهُ مِنَ الحُجَجِ الدَّاحِضَةِ.

فَالقُرْآنُ لَمَّا كَذَّبَ بِهِ المُشْرِكُونَ، وَاجْتَهَدُوا عَلَى إِبْطَالِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ مَعَ أَنَّهُ تَحَدَّاهُمْ بِالإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، ثُمَّ بِالإِتْيَانِ بِعَشْرِ سُوَرٍ، ثُمَّ بِالإِتْيَانِ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ، كَانَ ذَلِكَ مِمَّا دَلَّ ذَوِي الأَلْبَابِ عَلَى عَجْزِهِمْ عَنِ المُعَارَضَةِ، مَعَ شِدَّةِ الاِجْتِهَادِ، وَقُوَّةِ الأَسْبَابِ، وَلَوِ اتَّبَعُوهُ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضَةٍ وَإِصْرَارٍ عَلَى التَّبْطِيلِ، لَمْ يَظْهَرْ عَجْزُهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ الدَّلِيلُ.

وَكَذَلِكَ السَّحَرَةُ لَمَّا عَارَضُوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَبْطَلَ اللهُ مَا جَاءُوا بِهِ، كَانَ ذَلِكَ مِمَّا بَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ صِدْقَ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا مِنَ الفُرُوقِ بَيْنَ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ وَبَرَاهِينِهِمُ الَّتِي تُسَمَّى بِالمُعْجِزَاتِ، وَبَيْنَ مَا قَدْ يُشْتَبَهُ بِهَا مِنْ خَوَارِقِ السَّحَرَةِ، وَمَا لِلشَّيْطَانِ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ، فَإِنَّ بَيْنَ هَذَيْنِ فُرُوقًا مُتَعَدِّدَةً، مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢].

وَمِنْهَا مَا بَيَّنَهُ فِي آيَاتِ التَّحَدِّي، مِنْ أَنَّ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُعَارَضَ بِالمِثْلِ فَضْلًا عَنِ الأَقْوَى، وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا إِبْطَالُهَا بِخِلَافِ خَوَارِقِ السَّحَرَةِ وَالشَّيَاطِينِ؛ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ مُعَارَضَتُهَا بِمِثْلِهَا وَأَقْوَى مِنْهَا وَيُمْكِنُ إِبْطَالُهَا.

ثانيًا- معارضة أعداء الحق بدعاويهم الكاذبة:

وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَعْدَاءِ الأَنْبِيَاءِ مِنَ المُجْرِمِينَ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، الَّذِينَ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا إِذَا أَظْهَرُوا مِنْ حُجَجِهِمْ مَا يَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَى دِينِهِمُ المُخَالِفِ لِدِينِ الرَّسُولِ، وَيُمَوِّهُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا يُلَفِّقُونَهُ مِنْ مَنْقُولٍ وَمَعْقُولٍ - كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ ظُهُورِ الإِيمَانِ الَّذِي وَعَدَ بِظُهُورِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ بِالبَيَانِ وَالحُجَّةِ وَالبُرْهَانِ ثُمَّ بِالسَّيْفِ وَاليَدِ وَالسِّنَانِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾.

[الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]

وَذَلِكَ بِمَا يُقِيمُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ، وَالخَالِيَ مِنَ العَاطِلِ، وَالهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَالصِّدْقَ مِنَ المُحَالِ، وَالغَيَّ مِنَ الرَّشَادِ، وَالصَّلَاحَ مِنَ الفَسَادِ، وَالخَطَأَ مِنَ السَّدَادِ، وَهَذَا كَالمِحْنَةِ لِلرِّجَالِ الَّتِي تُمَيِّزُ بَيْنَ الخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾.

[آل عمران: ١٧٩]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١-٤].

وَالفِتْنَةُ هِيَ الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ، كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

أَيِ امْتِحَانُكَ وَاخْتِبَارُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ خَالَفَ الرُّسُلَ وَتَهْدِي بِهَا مَنِ اتَّبَعَهُمْ.

وَالفِتْنَةُ لِلْإِنْسَانِ كَفِتْنَةِ الذَّهَبِ إِذَا أُدْخِلَ كِيرَ الِامْتِحَانِ، فَإِنَّهَا تُمَيِّزُ جَيِّدَهُ مِنْ رَدِيئِهِ، فَالحَقُّ كَالذَّهَبِ الخَالِصِ، كُلَّمَا امْتُحِنَ ازْدَادَ جَوْدَةً، وَالبَاطِلُ كَالمَغْشُوشِ المُضِيءِ، إِذَا امْتُحِنَ ظَهَرَ فَسَادُهُ.

فَالدِّينُ الحَقُّ كُلَّمَا نَظَرَ فِيهِ النَّاظِرُ، وَنَاظَرَ عَنْهُ المُنَاظِرُ، ظَهَرَتْ لَهُ البَرَاهِينُ، وَقَوِيَ بِهِ اليَقِينُ، وَازْدَادَ بِهِ إِيمَانُ المُؤْمِنِينَ، وَأَشْرَقَ نُورُهُ فِي صُدُورِ العَالَمِينَ.

وَالدِّينُ البَاطِلُ إِذَا جَادَلَ عَنْهُ المُجَادِلُ، وَرَامَ أَنْ يُقِيمَ عُودَهُ المَائِلَ، أَقَامَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْ يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ صَاحِبَهُ الأَحْمَقَ كَاذِبٌ

مَائِقٌ[١]، وَظَهَرَ فِيهِ مِنَ القُبْحِ وَالفَسَادِ، وَالحُلُولِ[٢]، وَالاِتِّحَادِ[٣]، وَالتَّنَاقُضِ وَالإِلْحَادِ، وَالكُفْرِ، وَالضَّلَالِ، وَالجَهْلِ وَالمُحَالِ، مَا يَظْهَرُ بِهِ لِعُمُومِ الرِّجَالِ أَنَّ أَهْلَهُ مِنْ أَضَلِّ الضُّلَّالِ، حَتَّى يَظْهَرَ فِيهِ مِنَ الفَسَادِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ العِبَادِ، وَيَتَنَبَّهُ بِذَلِكَ مِنْ سِنَةِ الرُّقَادِ مَنْ كَانَ لَا يُمَيِّزُ الغَيَّ مِنَ الرَّشَادِ، وَيَحْيَا بِالعِلْمِ وَالإِيْمَانِ مَنْ كَانَ مَيِّتَ القَلْبِ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، فَإِنَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي كِتَابِهِ مِثْلُ تَكْذِيبِ الحَقِّ المُخَالِفِ لِلْهَوَى، وَالاِسْتِكْبَارِ عَنْ قَبُولِهِ، وَحَسَدِ أَهْلِهِ، وَالبَغْيِ عَلَيْهِمْ، وَاتِّبَاعِ سَبِيلِ الغَيِّ، وَالبُخْلِ، وَالجُبْنِ، وَقَسْوَةِ القُلُوبِ، وَوَصْفِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمِثْلِ عُيُوبِ المَخْلُوقِينَ، وَنَقَائِصِهِمْ، وَجَحْدِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ المُخْتَصَّةِ بِهِ الَّتِي لَا يُمَاثِلُهُ فِيهَا مَخْلُوقٌ، وَبِمِثْلِ الغُلُوِّ فِي الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالإِشْرَاكِ فِي العِبَادَةِ لِرَبِّ العَالَمِينَ، وَالقَوْلِ بِالحُلُولِ وَالاِتِّحَادِ الَّذِي يَجْعَلُ العَبْدَ المَخْلُوقَ هُوَ رَبُّ العِبَادِ، وَالخُرُوجِ فِي أَعْمَالِ الدِّينِ عَنْ شَرَائِعِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَالعَمَلِ بِمُجَرَّدِ هَوَى القَلْبِ وَذَوْقِهِ وَوَجْدِهِ فِي الدِّينِ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ العِلْمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ المُبِينِ، وَاتِّخَاذِ أَكَابِرِ العُلَمَاءِ، وَالعُبَّادِ أَرْبَابًا يُتَّبَعُونَ فِيمَا يَبْتَدِعُونَهُ مِنَ الدِّينِ المُخَالِفِ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) **المائق**: الغبي، الأحمق.

(٢) **الحلول**: هو تجسد الخالق في المخلوق بحلوله في بدنه أو بعض بدنه، أو امتزاجه فيه امتزاجًا كاملًا، وهي عقيدة الصوفية والشيعة وغيرهما.

(٣) **الاتحاد**: أن يتحد الخالق مع المخلوق فلا فارق بينهما، وهي من أبرز عقيدة الصوفية أو غلاتهم.

وَمُخَالَفَةِ صَرِيحِ المَعْقُولِ وَصَحِيحِ المَنْقُولِ، بِمَا يُظَنُّ أَنَّهُ مِنَ التَّنَزُّلَاتِ الإِلَهِيَّةِ، وَالفُتُوحَاتِ القُدْسِيَّةِ، مَعَ كَوْنِهِ مِنْ وَسَاوِسِ اللَّعِينِ، حَتَّى يَكُونَ صَاحِبُهَا مِمَّنْ قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

[الأعراف: ١٧٩]

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ البِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ، الَّتِي ذَمَّ اللهُ بِهَا أَهْلَ الكِتَابَيْنِ، فَإِنَّهَا مِمَّا حَذَّرَ اللهُ مِنْهُ هَذِهِ الأُمَّةَ الأَخْيَارَ، وَجَعَلَ مَا حَلَّ بِهَا عِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ.

ثالثًا- التحذير من اتباع بدع اليهود والنصارى:

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهَا فِي بَعْضِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي أُمَّتِهِ أُمَّةً قَائِمَةً عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ(١)، وَأَنَّ أُمَّتَهُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ(٢)، وَلَا يَغْلِبُهَا مَنْ سِوَاهَا مِنَ الأُمَمِ، بَلْ لَا تَزَالُ مَنْصُورَةً مُتَّبِعَةً لِنَبِيِّهَا المَهْدِيِّ المَنْصُورِ(٣).

---

(١) حديث: «**لا تزال في أُمتي أُمة قائمة بأمر الله**» حديث متواتر، وقد خرجته مطولًا في غير هذا الموضع، وانظر ما رواه البخاري (٣٤٦١، ٧٣١٢، ٧٤٦٠) ومسلم [١٠٣٧] وأحمد (٤/ ١٠١) عن معاوية.

وما رواه أحمد (٤/ ٢٤٤، ٢٤٨) والبخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩) ومسلم [١٩٢١] عن المغيرة بن شعبة.

وما رواه أحمد (٥/ ٢٧٨) ومسلم [١٩٢٠] والترمذي [٢٢٣٠] وابن ماجه [١٠] عن ثوبان ـ وما رواه مسلم [١٩٢٣] من جابر بن عبد الله، وما رواه مسلم [١٧٤] عن جابر بن سمرة، وما رواه مسلم [١٩٢٤] عن عقبة بن عامر ـ وغيرهم.

(٢) سيأتي بلفظه وتخريجه.

(٣) جزء من الحديث المتواتر السابق.

لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَنْ يَتَتَبَّعُ سَنَنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالرُّومِ وَالمَجُوسِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، قَالَ: «**فَمَنْ؟**»(١).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَتَأْخُذُ أُمَّتِي مَأْخَذَ الأُمَمِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَارِسَ وَالرُّومَ، قَالَ: «**فَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ**»(٢).

وَفِي المُظْهِرِينَ لِلْإِسْلَامِ مُنَافِقُونَ، وَالمُنَافِقُونَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ تَحْتَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ فَلِهَذَا كَانَ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى قَدْ يُوجَدُ فِي المُنَافِقِينَ المُنْتَسِبِينَ لِلْإِسْلَامِ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الإِيمَانَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَيُبْطِنُونَ خِلَافَ ذَلِكَ كَالمَلَاحِدَةِ البَاطِنِيَّةِ(٣)، فَضْلًا عَمَّنْ يُظْهِرُ الإِلْحَادَ مِنْهُمْ.

وَيُوجَدُ بَعْضُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ البِدَعِ، مِمَّنْ هُوَ مُقِرٌّ بِعُمُومِ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ، بَاطِنًا وَظَاهِرًا، لَكِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا اشْتَبَهَ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَاتَّبَعَ المُتَشَابِهَ، وَتَرَكَ المُحْكَمَ كَالخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ.

---

(١) رواه أحمد (٨٣٠٨، ٨٣٤٠، ٨٤٣٣، ٨٨٠٥، ٨٨٠٦) والبخاري [٧٣١٩]، وتفرد به دون مسلم، وليس فيه «**حذو القذة بالقذة**».

(٢) أخرجه البخاري [٣٤٥٦] ومسلم [٢٦٦٩] وأحمد (٣/ ٨٤، ٨٩) والطيالسي [٢١٧٨].
وأخرجه عبد الرزاق [٢٠٧٦٣] وأحمد (٥/ ٢١٨) والحميدي [٨٤٨] والطيالسي [١٣٤٦] وابن أبي شيبة (١٥/ ١٠١) والترمذي [٢١٨٠] وأبو يعلى [١٤٤١] وابن حبان [٦٧٠٢] عن أبي واقد الليثي.
وفي البخاري أيضًا حديث شداد بن أوس في «المسند» (٤/ ١٢٥) وسهل بن سعد وهو في «المسند» (٥/ ٣٤٠).

(٣) **الباطنية**: عدة فرق من فرق الشيعة الغُلاة، ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر، مثل هذه الفرق: القرامطة، الخرمية، البابكية، الإسماعيلية، والسبعية وغيرهم.

وَلِلنَّصَارَى فِي صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاتِّحَادِهِ بِالمَخْلُوقَاتِ ضَلَالٌ شَارَكَهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، بَلْ مِنَ المَلَاحِدَةِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ ضَلَالًا مِنَ النَّصَارَى.

أنواع الحلول والاتحاد

وَالحُلُولُ وَالِاتِّحَادُ نَوْعَانِ: عَامٌّ، وَخَاصٌّ.

فَالعَامُّ: كَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ اللهَ بِذَاتِهِ حَالٌّ فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَوْ إِنَّ وُجُودَهُ عَيْنُ وُجُودِ المَخْلُوقَاتِ.

وَالخَاصُّ: كَالَّذِينَ يَقُولُونَ بِالحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ فِي بَعْضِ أَهْلِ البَيْتِ، كَعَلِيٍّ، وَغَيْرِهِ، مِثْلُ النُّصَيْرِيَّةِ(١)، وَأَمْثَالِهِمْ، أَوْ بَعْضِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى أَهْلِ البَيْتِ كَالحَاكِمِ(٢)، وَغَيْرِهِ، مِثْلُ الدُّرْزِيَّةِ(٣) وَأَمْثَالِهِمْ، أَوْ بَعْضِ مَنْ يُعْتَقَدُ فِيهِ المَشْيَخَةُ، كَالحَلَّاجِيَّةِ(٤)، وَأَمْثَالِهِمْ.

فَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَلَّ، أَوِ اتَّحَدَ بِأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَوِ القَرَابَةِ، أَوِ المَشَايِخِ، فَهُوَ مِنْ هَذَا الوَجْهِ أَكْفَرُ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا بِالِاتِّحَادِ وَالحُلُولِ فِي المَسِيحِ، فَإِنَّ المَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ.

---

(١) **النصيرية**: فرقة من فرق الشيعة تنسب إلى محمد بن نصير البحيري، وهو من فقهاء الشيعة، وهي فرقة غالية جدًّا، متطرفة جدًّا، وهي تلقب بالعلوية الآن.

(٢) **الحاكم**: منصور بن نزار العبيدي الفاطمي (الحاكم بأمر الله) كان سفاكًا للدماء قتل عددًا كبيرًا من أماثل الدولة.

(٣) **الدرزية**: فرقة من فرق الشيعة الغالية جدًّا، ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر في عهد الدولة الفاطمية التي هي أساس كل بلية، وبدعة. وهي تنسب إلى رجلين هما: محمد ابن إسماعيل تشتكين الدَّرزي، ومنصور أنوشتكين الدُّرزي، وأهم مواطنهم الآن سوريا ولبنان وفلسطين والمغرب، وعقيدتهم مستمدة من عقيدة الإسماعيلية الباطنة.

(٤) نسبة إلى الحسين بن منصور الحلاج، مدّعي الحلول، أن الله حلّ فيه، وتم الحكم عليه بالقتل لكفره سنة ٣٠٩ هـ.

وَمَنْ قَالَ بِالحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ العَامِّ، فَضَلَالُهُ أَعَمُّ مِنْ ضَلَالِ النَّصَارَى، وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَ بِقِدَمِ أَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ، أَوْ أَعْمَالِهِمْ، أَوْ كَلَامِهِمْ، أَوْ أَصْوَاتِهِمْ، أَوْ مِدَادِ مَصَاحِفِهِمْ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَفِي قَوْلِهِ شُعْبَةٌ مِنْ قَوْلِ النَّصَارَى.

فَبِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ دِينِ النَّصَارَى وَبُطْلَانِهِ يُعْرَفُ بِهِ بُطْلَانُ مَا يُشْبِهُ أَقْوَالَهُمْ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الإِلْحَادِ وَالبِدَعِ.

فَإِذَا جَاءَ نُورُ الإِيمَانِ وَالقُرْآنِ أَزْهَقَ اللهُ بِهِ مَا خَالَفَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

وَأَبَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ فَضَائِلِ الحَقِّ وَمَحَاسِنِهِ مَا كَانَ بِهِ مَحْقُوقًا.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

سبب تأليف الكتاب

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ نَصْرِ الدِّينِ وَظُهُورِهِ، أَنَّ كِتَابًا وُرِدَ مِنْ قُبْرُصَ فِيهِ الِاحْتِجَاجُ لِدِينِ النَّصَارَى، بِمَا يَحْتَجُّ بِهِ عُلَمَاءُ دِينِهِمْ وَفُضَلَاءُ مِلَّتِهِمْ، قَدِيمًا، وَحَدِيثًا مِنَ الحُجَجِ السَّمْعِيَّةِ، وَالعَقْلِيَّةِ، فَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ نَذْكُرَ مِنَ الجَوَابِ مَا يَحْصُلُ بِهِ فَصْلُ الخِطَابِ، وَبَيَانُ الخَطَإِ مِنَ الصَّوَابِ؛ لِيَنْتَفِعَ بِذَلِكَ أُولُو الأَلْبَابِ، وَيَظْهَرَ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ مِنَ المِيزَانِ، وَالكِتَابِ.

وَأَنَا أَذْكُرُ مَا ذَكَرُوهُ بِأَلْفَاظِهِمْ بِأَعْيَانِهَا فَصْلًا فَصْلًا، وَأُتْبِعُ كُلَّ فَصْلٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ الجَوَابِ فَرْعًا وَأَصْلًا، وَعَقْدًا وَحَلًّا.

وَمَا ذَكَرُوهُ فِي هَذَا الكِتَابِ هُوَ عُمْدَتُهُمُ الَّتِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا عُلَمَاؤُهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ، وَقَبْلَ هَذَا الزَّمَانِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ الأَحْوَالِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَجَدْنَاهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَيَتَنَاقَلُهَا عُلَمَاؤُهُمْ بَيْنَهُمْ، وَالنُّسَخُ بِهَا مَوْجُودَةٌ قَدِيمَةٌ، وَهِيَ مُضَافَةٌ إِلَى بُولِصَ[١] الرَّاهِبِ أُسْقُفٍّ[٢] صَيْدَا[٣] الأَنْطَاكِيِّ، كَتَبَهَا إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي نَصْرِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا سَافَرَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ[٤]

(١) **بولص الرَّاهب**: أسقف صيدا الأنطاكي، عاش في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي، وعُين في أُخريات حياته أسقفًا لصيدا، وهو غير بولص المشهور عند النصارى والذي كان يهوديًا وكان اسمه (شاول) ثم انتقل للنصرانية ليفسدها.

(٢) **الأسقف**: الدرجة العليا في الكهنوت، وهو كاهن ذو رتبة كبيرة، مثل تقديم القرابين، وفي الكنيسة يعتبر نائب المسيح، وله حق الرياسة على جميع الكهنة.

(٣) **صيدا**: مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي اليوم إحدى مدن لبنان في الجنوب.

(٤) **الروم**: من ولد روم بن عيصو بن إسحاق، غلب اسم أبيهم عليهم فصار كالاسم للقبيلة، كانت لهم بلاد واسعة تضاف إليهم.

وَالقُسْطَنْطِينِيَّةِ[١] وَبِلَادِ المَلَافِطَةِ[٢] وَبَعْضِ أَعْمَالِ الإِفْرِنْجِ وَرُومِيَةَ[٣]، وَاجْتَمَعَ بِأَجِلَّاءِ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَفَاوَضَ أَفَاضِلَهُمْ، وَعُلَمَاءَهُمْ، وَقَدْ عَظَّمَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ، وَسَمَّاهَا (الكِتَابُ المَنْطِيقِيُّ الدَّوْلَةُ خَانِي المُبَرْهِنُ عَنِ الاِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ، وَالرَّأْيِ المُسْتَقِيمِ).

❁❁❁

(١) **القسطنطنية**: كان اسمها بزنطية فنزلها قسطنطين الأكبر وبنى عليها سورًا وسماها باسمه، وتسمى بعد ذلك أسطنبول، وسماها محمد الفاتح (إسلام بول).

(٢) **الملافطة**: لعلها البلاد التي كان يسكنها أفلاطون أو تابعة له في فكره وتبنت معتقداته. والله أعلم.

(٣) **رومية**: هي بلاد الروم أو روما التي أخبر النبي ﷺ أن المسلمين سيفتحونها إن شاء الله.

obeikandl.com

الدعاوى التي جاءت في رسالة بولس الأنطاكي

وَمَضْمُونُ ذَلِكَ سِتَّةُ فُصُولٍ:

الفَصْلُ الأَوَّلُ- دَعْوَاهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ بَلْ إِلَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ العَرَبِ، وَدَعْوَاهُمْ أَنَّ فِي القُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَالعَقْلُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

الفَصْلُ الثَّانِي- دَعْوَاهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَثْنَى فِي القُرْآنِ عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَمَدَحَهُ بِمَا أَوْجَبَ لَهُمْ أَنْ يَثْبُتُوا عَلَيْهِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ- دَعْوَاهُمْ أَنَّ نُبُوَّاتِ الأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ، كَالتَّوْرَاةِ وَالزَّبُورِ وَالإِنْجِيلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوَّاتِ تَشْهَدُ لِدِينِهِمُ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الأَقَانِيمِ(١)، وَالتَّثْلِيثِ(٢)، وَالاِتِّحَادِ(٣)، وَغَيْرِ ذَلِكَ، بِأَنَّهُ حَقٌّ وَصَوَابٌ، فَيَجِبُ التَّمَسُّكُ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ العُدُولُ عَنْهُ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهُ شَرْعٌ يَرْفَعُهُ، وَلَا عَقْلٌ يَدْفَعُهُ.

وَالفَصْلُ الرَّابِعُ- فِيهِ تَقْرِيرُ ذَلِكَ بِالمَعْقُولِ، وَأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّثْلِيثِ ثَابِتٌ بِالنَّظَرِ المَعْقُولِ، وَالشَّرْعِ المَنْقُولِ، مُوَافِقٌ لِلْأُصُولِ.

وَالفَصْلُ الخَامِسُ- دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَالاِعْتِذَارُ عَمَّا يَقُولُونَهُ مِنْ أَلْفَاظٍ يَظْهَرُ مِنْهَا تَعَدُّدُ الآلِهَةِ، كَأَلْفَاظِ الأَقَانِيمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ مَا عِنْدَ المُسْلِمِينَ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي يَظْهَرُ مِنْهَا التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ(٤).

وَالفَصْلُ السَّادِسُ- أَنَّ المَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِغَايَةِ الكَمَالِ، فَلَا حَاجَةَ بَعْدَ النِّهَايَةِ إِلَى شَرْعٍ يَزِيدُ عَلَى الغَايَةِ، بَلْ يَكُونُ مَا بَعْدَ ذَلِكَ شَرْعًا غَيْرَ مَقْبُولٍ.

---

(١) **الأقانيم:** جمع أقنوم وهي كلمة سريانية معناها شخص أساسي، أو شخص رئيسي ـ والكنائس الشرقية تفضل استعمال لفظ أقنوم لأن معناه في التثليث الكيان الذاتي.

(٢) **التثليث** ـ وهو معتقد النصارى أن الله سبحانه ـ مثلث الأقانيم واحد الجوهر.

(٣) **الاتحاد** ـ هو أن الله اتحد بذاته في جميع خلقه، كما سبق بيانه.

(٤) هم الذين يجسمون الصفات، ولعل هذا التجسيم عند الكلام على الصفات فيعبر عنها بحركات الأيدي.

منهج المؤلف في الردّ عليهم

وَنَحْنُ وَللهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ نُبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ مَا احْتَجُّوا بِهِ مِنْ حُجَّةٍ سَمْعِيَّةٍ مِنَ القُرْآنِ، أَوْ مِنَ الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ عَلَى القُرْآنِ، أَوْ عَقْلِيَّةٍ، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، بَلِ الكُتُبُ كُلُّهَا مَعَ القُرْآنِ وَالعَقْلِ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، لَا لَهُمْ، بَلْ عَامَّةُ مَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنْ نُصُوصِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِنَ المَعْقُولِ فَهُوَ نَفْسُهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَيَظْهَرُ مِنْهُ فَسَادُ قَوْلِهِمْ مَعَ مَا يُفْسِدُهُ مِنْ سَائِرِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ، وَالمَوَازِينِ الَّتِي هِيَ مَقَايِيسُ عَقْلِيَّةٌ.

وَهَكَذَا يُوجَدُ عَامَّةُ مَا يَحْتَجُّ بِهِ أَهْلُ البِدَعِ مِنْ كُتُبِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَفِي تِلْكَ النُّصُوصِ مَا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا، بَلْ هِيَ بِعَيْنِهَا حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، كَمَا ذُكِرَ أَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ.

وَإِنَّمَا عَامَّةُ مَا عِنْدَ القَوْمِ أَلْفَاظٌ مُتَشَابِهَةٌ، تَمَسَّكُوا بِمَا ظَنُّوهَا تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَعَدَلُوا عَنِ الأَلْفَاظِ المُحْكَمَةِ الصَّرِيحَةِ المُبَيِّنَةِ، مَعَ مَا يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ مِنَ الأَهْوَاءِ.

وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ البَاطِنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

فَهُمْ فِي جَهْلٍ وَظُلْمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

فَالمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الجَهْلِ وَالظُّلْمِ هُمْ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ بُعِثُوا بِالعِلْمِ وَالعَدْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤].

فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَيْسَ ضَالًّا جَاهِلًا، وَلَا غَاوِيًا مُتَّبِعًا هَوَاهُ، وَلَا يَنْطِقُ عَنْ هَوَاهُ، إِنَّمَا نُطْقُهُ وَحْيٌ أَوْحَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [الفتح: ٢٨].

فَالهُدَى يَتَضَمَّنُ العِلْمَ النَّافِعَ، وَدِينُ الحَقِّ يَتَضَمَّنُ العَمَلَ الصَّالِحَ، وَمَبْنَاهُ عَلَى العَدْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾. [الحديد: ٢٥]

وَأَصْلُ العَدْلِ العَدْلُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَإِنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾. [لقمان: ١٣]

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لَمَّا نَزَلَتِ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ الآيَةَ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ العَبْدِ الصَّالِحِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ؟**»[(١)].

وَلَمَّا كَانَ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ هُمْ أَهْلُ العِلْمِ وَالعَدْلِ، كَانَ كَلَامُ أَهْلِ الإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مَعَ الكُفَّارِ، وَأَهْلِ البِدَعِ بِالعِلْمِ وَالعَدْلِ، لَا بِالظَّنِّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**القُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الحَقَّ وَقَضَى بِهِ**

(١) أخرجه الطيالسي [٢٧٠] وأحمد (١/ ٣٨٧) والبخاري (٣٢، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨، ٦٩٣٧) ومسلم [١٢٤] والترمذي [٣٠٦٧] وابن حبان [٢٥٣] والطبري (٧/ ٢٥٥) وابن منده في «الإيمان» (٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧) من طرق عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود، به.

فَهُوَ فِي الجَنَّةِ، وَرَجُلٌ عَلِمَ الحَقَّ وَقَضَى بِخِلَافِهِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ»[(١)]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

فَإِذَا كَانَ مَنْ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ فِي الأَمْوَالِ وَالدِّمَاءِ وَالأَعْرَاضِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا عَادِلًا، كَانَ فِي النَّارِ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَحْكُمُ فِي المِلَلِ، وَالأَدْيَانِ، وَأُصُولِ الإِيْمَانِ، وَالمَعَارِفِ الإِلَهِيَّةِ، وَالمَعَالِمِ الكُلِّيَّةِ بِلَا عِلْمٍ، وَلَا عَدْلٍ؟ كَحَالِ أَهْلِ البِدَعِ، وَالأَهْوَاءِ، الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِالْمُتَشَابِهِ[(٢)] المَشْكُوكِ، وَيَدَعُونَ المُحْكَمَ[(٣)] الصَّرِيحَ مِنْ نُصُوصِ الأَنْبِيَاءِ وَيَتَمَسَّكُونَ بِالقَدْرِ المُشْتَرَكِ المُتَشَابِهِ فِي المَقَايِيسِ وَالآرَاءِ، وَيُعْرِضُونَ عَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ الفُرُوقِ المَانِعَةِ مِنَ الإِلْحَاقِ وَالاِسْتِوَاءِ، كَحَالِ الكُفَّارِ، وَسَائِرِ أَهْلِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ المَخْلُوقَ بِالخَالِقِ، وَالخَالِقَ بِالمَخْلُوقِ، وَيَضْرِبُونَ للهِ المَثَلَ بِالقَوْلِ الهُزْءِ.

❁❁❁

---

(١) صحيح: رواه أبو داود [٣٥٧٣] والترمذي [١٣٢٢] وابن ماجه [٢٣١٥] والطبراني في «الكبير» [١١٥٤] والطحاوي في «شرح المشكل» (٥٤، ٥٥) والبيهقي (١٠/ ١١٦) والحاكم (٤/ ٩٠) وهو حديث صحيح من حديث بُريدة، وله شاهد من حديث ابن عمر.

(٢) **المتشابه**ـ التشابه التماثل، والتناسب، والقرآن كله متشابه يصدق بعضه بعضًا ويشبه بعضه بعضًا في الكمال والجودة.

(٣) **المحكم**: المتقن، والإحكام الإتقان، والفارق بين المحكم والمتشابه:
المحكم: ما عرف المراد منه - أو ما لا يحتمل إلّا وجهًا واحدًا.
والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه، أو هو محتاج إلى غيره في البيان، أو مما استأثر الله بعلمه.

obeikandl.com